فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يـــقـــدم

من سلسلة "قصة رواها الرسول"

معاتبة إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر يوم القيامة

لفضيلة الشيخ : جمال المراكبي

رابط المادة : http://www.way2allah.com/khotab-item-27906.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه. أما بعد..

فإن من أعظم نعم الله علينا أن فطرنا على معرفته وتوحيده، والإيمان به، والحياة على طاعته ومحبته، ولهذا أرسل الله إلينا رسولاً، وأنزل علينا منهاج الهداية، فمن مات على غير الإيمان ومن مات على غير التوحيد عذبه الله في النار ولو كان أبًا لخليل الرحمن إبراهيم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذيخ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار" صحيح البخاري

مناظرة سيدنا إبراهيم مع أبيه

إبراهيم الخليل كانت أول مساجلاته وأولى مناظراته مع أبيه، ومَن أحب إلى المرء من أبيه؟! وقد سجل لنا القرءان هذه المناظرة في سورة مريم "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا" مريم ٤١:٤٥

ماذا قال أبوه؟ بماذا أجاب أبوه؟ قال بصلف وبتعنت " أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ" لئن لم تنتهِ عما تقول وعما تدعوا إليه سوف أقتلك رميًا بالحجارة " قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا" مريم٤٦:٤٩

انظروا في هذه الآيات إلى دعوة إبراهيم لأبيه، وأبوه أحب الناس إليه يا أبتِ، يا أبتِ ما هذا الذي تصنع؟ يقال أن أباه كان يصنع التماثيل من الخشب، كان نجارًا، وكان هو الذي يصنع هذه التماثيل، وكان يبيعها للناس يعبدونها من دون الله، فأنكر عليه ولده إبراهيم، ما هذا الذي تصنع يا أبي؟ كيف تعبد صنمًا أنت الذي صنعته، وأنت الذي جمعت أعضاءه وأجزاءه ، وأنت تعلم أنه لا يسمع، وأنه لا يبصر، وأنه لا ينفع، وأنه لا يضر، وأنه لا يغني عنك من الله شيئًا، إنها عبادة للشيطان، لأن الشيطان هو الذي أغواك كما أغوى قومك، فعبادتك للأصنام والأوثان إنما هي عبادة للشيطان، وأنا أخشى عليك يا أبتِ، أخشى عليك إن ظللت على عبادة الشيطان أن يغضب عليك الرحمن، أن تكون وليًا للشيطان وعدوًا للرحمن "أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا" مريم: ٤٥

ولكن الأب لم يسمع، الأب لم يسمع، ولم يعقل، ولم يفكر، ولم يتأمل بما قال ولده، بل قال له مؤدبًا متوعدًا " قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ " سورة مريم٤٦

لا تعجبك هذه الآلهة! لا تعبدها معنا! لا تحبها! ترغب عنها وترفضها " أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ " مريم:٤٦ إن لم تنتهِ عما تقول وعما تدعوا إليه لأعاقبنك عقوبةً شديدة " لَأَرْجُمَنَّكَ" لأقتلنك رميًا بالحجارة، أو ابتعد عني لا أراك ولا أسمعك ولا تراني، اهجرني هجرًا طويلاً مليًا، ولكن إبراهيم شفقةً ورحمةً بأبيه وحبًا لأبيه وعده أن يستغفر الله له قال " سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا" مريم: ٤٧

إن ربي يحتفي بي، إن ربي اتخذني من الناس خليلاً، وأنت أبي، أنت أبي سأستغفر الله لك، عسى أن يغفر الله لك، ولم يكن المولى تبارك وتعالى قد نهى عن الاستغفار للمشركين، ولهذا لم يُنهِ إبراهيم عن الاستغفار، لكن ربنا تبارك وتعالى بين لنا أن الاستغفار لا ينفعهم " اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ" التوبة: ٨٠

فبهداهم اقتده

وهذه الآية جاءت في حق المنافقين، في حق عبد الله ابن أبي ابن سلول زعيم المنافقين حين استغفر له النبي صلى الله عليه وسلم كرامةً لولده ورحمة أوطمعًا في أن يغفر الله ربه لأنه كان يظهر الإسلام، فقال له ربه لا تستغفر لأحد منهم ولا تُصلِّ على أحد منهم مات أبدًا، ولا تقم على قبره، ثم قال له ولو استغفرت لهم كم استغفرت، لو استغفرت لهم سبعين مرة – سبعين مرة للتكثير وليس للعدد – مهما استغفرت لهم فلن يغفر الله لهم، والله سبحانه وتعالى يقول لنا " مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ" التوبة: ١١٣

طيب يا رب إبراهيم استغفر لأبيه قال: " وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ" التوبة: ١١٤

والله لا يخلف وعد أنبيائه، إذا وعد النبي وعدًا فإنه ينفذه، وقد وعد إبراهيم أن يستغفر لأبيه فقال له ربه أنفذ وعدك واستغفر، لكني لن أغفر، لن أغفر له أبدًا، وبهذا نفهم الآيات" اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ" التوبة: ٨٠ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ

لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ " التوبة:١١٤ تبرَّأ منه، قال " إني بريء منك، لماذا؟ "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ" التوبة: ١١٤ وقد بين لنا المولى تبارك وتعالى أن إبراهيم قدوة وأنه أسوة، كما كان النبيين قدوةً وأسوة، قال ربنا للنبي صلى الله عليه وسلم "أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ" الأنعام: ٩٠ فبهداهم اقتده، اقتدِ بهم يا محمد وقال له " ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" النحل:١٢٣

وإبراهيم قال "وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ" الشعراء:٨٦ هذا هو استغفار إبراهيم لأبيه سجله القرءان "وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ "

معاتبة سيدنا إبراهيم لأبيه

ولكن هل يغفر الله له؟ هذه القصة تبين لنا الحقيقة، وتجليها لنا واضحةً، يؤتَى بإبراهيم وبأبيه يوم القيامة، فيأتي أبوه وعلى وجهه قترة وغبرة ، وجهه أسود كأنه قد عُفر بالتراب من شدة الخوف وتوقع العذاب، وشدة الهول الذي عاناه منذ الموت وإلى البعث، يلقى إبراهيم أباه آزر، وعلى وجه أبيه قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني ألم أقل لك " قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا" مريم:٤٣ ألم أقل لك "يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا" مريم:٤٤

ألم أقل لك لا تعصني، فيقول له أبوه – وكأنه وجد قشةً ينجو بها من الغرق – فاليوم لا أعصيك يا إبراهيم، الآن لا أعصيك لكن كن شفيعًا لي، كن سببًا لنجاتي، فينظر إبراهيم، ينظر إبراهيم إلى السماء ويقول " ربي قد وعدتني ألّا تخزني يوم يبعثون " وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ" الشعراء:٨٧

لا تدخل الجنة إلا نفس مؤمنة

وأنت يارب استجبت دعواتي ووعدتني هذا الوعد أنني لا أتعرض للخزي يوم القيامة، وأي خزي أكثر من أبي الأبعد أن يكون في النار؟ أن يكون في الدرك الأسفل من النار؟

فقال الله عز وجل: "يا إبرهيم إني حرَّمت الجنة على المشركين، الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة، إني قد كتبت على كل كافر ومشرك أن يبقى في النار خالدًا مخلدًا فيها، لا يخرجون منها أبدًا، لا يموت فيها ولا يحيا"

إني حرمت الجنة عليهم، وكأن إبراهيم يجد في قلبه حزنًا، ويجد في قلبه غصة ألّا يستجاب دعاءه، ولا يؤبه لشفاعته، فيقول الله عز وجل، أو تقول الملائكة انظر من تحت رجليك، فينظر إبراهيم إلى تحت رجليه فيجد ذيخًا متلطخًا بالعذرة، الذيخ هو الضبع، والضبع هذا حيوان مفترس وحيوان غير نظيف، حيوان دائمًا أبدًا يكون متلطخًا بالدماء، متلطخًا بالقاذورات، وحيوان شكله منفِّر، بل إن الضباع إذا اصطادت فريسة تنهش لحمها وهي حية، الإنسان حين يرى منظر الضبع يأنف، يشمئز، انظر يا إبراهيم مَن تحت رجليك؟ فنظر فإذا هو بذيخ متلطخ بعذرته أي ببرازه، وما يخرج منه، فإذا إبراهيم يأنف ويفر منه، فيُؤخذ بقوائم هذا الذيخ، هذا الضبع فيلقى بالنار، كأن الله

مسخ آزر أبا إبراهيم هذه الصورة المنفرة مسخه ذيخًا ثم أمر به أن يُلقى في النار، مع أن آزر أبو إبراهيم، ويحلو لبعض الناس أن يقول أن آزر ليس أبًا لإبراهيم، يخالفون صريح القرءان " إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ" مريم:٤٢ ويخالفون صريح السنة "يلقى إبراهيم أباه آزر" صحيح البخاري

بل ويزعمون أنه عمه، لماذا؟ لأنهم بنوا منهجهم على أن النبي لا يمكن أن يولد من أبٍ كافر، بل ويزعمون أنه عمه، فيخالفون ظاهر القرءان وصريح السنة بناءً على منهج فاسد، يقول أن أبويّ أي نبي لا بد وأن يكونا من المؤمنين، وكذلك أجداده إلى آدم، ولا أدري من أين جاءوا بهذا التحكم؟!

ومعلوم أن كثيرًا من أنبياء الله ورسله كانوا يُبعثون في مجتمع لا يعرف توحيدًا، بل أطبق أهله على الكفر، إن أهل الجاهلية كانوا جميعًا على الكفر إلا مَن رحم الله منهم ممن كان على الحنفية السمحة كزيد بن عمر بن نفيل، أو مَن كان على دين النصرية الحقة كورقة بن نوفل، وسَلمان الفارسي، والقس الذي علمه الدين الحق، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل من أهل الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان كثير الكرم والإطعام للفقراء والمساكين، هل هو في الجنة؟

فقال لا، إنه لم يقل يومًا ربِ اغفر لي خطيئتي يوم الدين.

ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم على عمه أبي طالب وهو في سكرات الموت طلب منه أن يقول لا إله إلا الله "يا عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله" فأبى أبو طالب وكان آخر ما تكلم به أنه على مِلَّة عبد المطلب فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من عنده حزينًا كئيبًا وقال "أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك" فأنزل الله تبارك وتعالى "مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ" التوبة: ١١٣ صحيح البخاري

لأن المشرك لا مكان له بالجنة، هو خالد مخلد بالنار، نسأل الله السلامة ونسأل الله العافية، ونسأل الله الجنة، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وشكر الله لكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36